

كُتُبُ
كُلِّيَّةِ

عِيْنَةٌ مِّنَ الرِّوَايَةِ
(لِلتَّصْفِحِ وَالْإِطْلَاعِ)

الْحِصَانُ الْأَشْهَبُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أبحاثنا كركيسيتي

الحِصَانُ الْأَشْهَبُ

طُبعت للمرة الأولى باللغة الإنكليزية عام ١٩٦١

ترجمة: محمود الخطيب

مراجعة الترجمة: نبيل عبد القادر البرادعي

تحرير: رمزي رامز حسون



الأجبال
للترجمة
والنشر

AJYAL Publishers

هذه الترجمة تضم النصّ الكامل لرواية أغاثا كريستي
المنشورة أول مرة عام ١٩٦١ بعنوان

The Pale Horse

Copyright © Agatha Christie Ltd 1961

حقوق الطبع محفوظة للناشر:
الأجيال للترجمة والنشر والتوزيع

يُمنع نقل أو تخزين أو إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب
بأي شكل أو بأية وسيلة: تصويرية أو تسجيلية أو إلكترونية
أو غير ذلك إلا بإذن خطي مسبق من الناشر

Arabic edition published by AJYAL Publishers
e-mail: books@al-ajyal.com

الطبعة الرابعة

٢٠٢٠

مقدمة مارك إيستبروك

يبدو لي أن حوادث مقهى «الحصان الأشهب» الغريبة يمكن معالجتها بأسلوبين، ورغم كل النظريات فمن الصعب تبسيط الأمر. إن المرء لا يستطيع أن يبدأ من البداية حتى النهاية ثم يتوقف، فأين هي البداية؟ بالنسبة لأي مؤرخ فإن هذه هي الصعوبة دائماً: عند أي نقطة في التاريخ يبدأ ذلك الجزء المعين من التاريخ؟

في هذه القضية بالذات يمكنك أن تبدأ من اللحظة التي انطلق فيها الأب غورمان من بيته لزيارة امرأة تُحتَضِر، أو يمكنك أن تبدأ قبل ذلك من أمسية معينة في تشيلسي.

وسوف أختارُ أنا البدء من تلك الأمسية، طالما أنني أنا الذي أكتب بنفسني الجزء الأكبر من أحداث هذه القصة.



الفصل الأول

علا صوتُ آلة القهوة ورائي بفحيح كأنه أفعى غاضبة. كان لصوتها أثر يوحى بالشر، وفكرت بأن معظم ضوضائنا المعاصرة تعطي هذا الإيحاء، فصيحات الغضب العالية المرعبة للطائرات النفاثة تعبر السماء، وتلك الدمدمة البطيئة المخيفة لقطار الأنفاق عندما يقترب من المحطة، والشاحنات الثقيلة التي تهز أركان بيتك عندما تمر أمامه... حتى الأجهزة المنزلية الصغيرة اليوم -رغم أنها مفيدة فيما صُنعت من أجله- تحمل أصواتها نوعاً من التحذير والرعب: جلّاية الصحون والثلاجة وقُدور الضغط والمكنسة الكهربائية... كلها تبدو وكأن لسان حالها يقول: احذر، أنا جنّيّ مُسَخَّر لخدمتك، ولكن إذا فشلت في السيطرة عليّ...

عالم خطير، حقيقةً إنه عالم خطير!

وُضع فنجان القهوة أمامي، وكانت رائحته منعشة.

- ماذا تريد أيضاً؟ شطيرة موز ولحم؟

بدت لي تلك تشكيلة غريبة وغير متجانسة، فالموز يذكرني بأيام الطفولة، أما اللحم فيرتبط في ذهني بالبيض. ومع ذلك فعليك

أن تأكل ما يأكله أهل تشيلسي عندما تكون في تشيلسي. وافقت على شطيرة الموز واللحم.

* * *

بالرغم من أنني عشت في تشيلسي (حيث كانت لي شقة مفروشة هناك في الأشهر الثلاثة الأخيرة) إلا أنني كنت أشعر بالغرابة في هذه المنطقة. كنت أكتب كتاباً عن مظاهر الفن المعماري المغولي، ولهذا الغرض كان بوسعي العيش في أي مكان: هامبستيد أو بلومزبري أو ستريثام أو تشيلسي، الأمر سيان بالنسبة لي. كنت لا أدرك شيئاً مما حولي باستثناء ما كان يهمني في عملي، كما أن الجيران المحيطين بي لم يعبؤوا بي أيضاً، فقد كنت أعيش في عالمي الخاص المستقل.

وفي هذه الأمسية بالذات عانيت من إحدى تلك التغيرات المفاجئة التي يعرفها كل الكتاب. الفن المعماري المغولي... الأباطرة المغول... الأسلوب المغولي في الحياة... كل هذه الأشياء، إضافة إلى جميع المشكلات التي تثيرها الحياة المغولية أصبحت -فجأة- غباراً ورماداً. بماذا تهمني؟ ولماذا أريد الكتابة عنها؟

عدت بضع صفحات إلى الوراء وأعدت قراءة ما كتبه. بدا لي كله مكتوباً بأسلوب سيئٍ ومتماثل ولا يثير أي اهتمام. بلا شك لقد كان مُحِقّاً ذلك الذي قال: «التاريخ هراء» (أهو هنري فورد؟)

دفعت بأوراق المخطوطة بعيداً باشمئزاز ونهضت ونظرت إلى ساعتني. كانت الساعة تقترب من الحادية عشرة ليلاً، وحاولت أن أتذكر إن كنت تناولت العشاء أم لا. ظننت -من خلال أحاسيسي

الداخلية- أنني لم أتناوله. الغداء تناولته، نعم، في مطعم أثينام، وقد كان ذلك منذ وقت طويل.

ذهبت وبحثت في الثلاثة. كانت فيها قطعة صغيرة متبقية من لسان مجفف. نظرت إليها فلم أسغها، لذلك خرجت إلى شارع كينغ ودخلت أحد المقاهي التي تقدم القهوة السريعة واسمه مقهى «لويجي»، وكان الاسم مكتوباً بالنيون الأحمر على نافذته. وها أنا أتأمل -الآن- شطيرة الموز واللحم وأنا أفكر في الإيحاءات الشريرة لضوضاء حياتنا المعاصرة وتأثيراتها في المحيط الذي نعيش فيه.

أزّت آلة القهوة في أذني مرة أخرى، فأشرت إليهم ليحضروا لي فنجاناً آخر من القهوة ثم نظرت حولي. كانت أختُ لي تتهمني دائماً بأنني لست قوي الملاحظة ولا ألاحظ ما يدور حولي، كانت تقول: "أنت تعيش في عالم خاص بك". أما الآن فقد لاحظتُ ما يدور حولي. كان من المستحيل أن لا تقرأ عن مقاهي تشيلسي وزبائنها في الصحف كل يوم، كانت هذه فرصتي لتقويم ودراسة الحياة المعاصرة.

كان الجو معتماً في المقهى، لذلك لم تكن الرؤية ممكنة بوضوح، ومعظم الزوّار كانوا من الشباب الصغار. لم يكونوا من جيل الرفض، بل مما يمكن أن أسميه «جيل ما بعد الرفض». فقد ظهرت الفتيات قدرات كما أراهنّ دوماً في هذه الأيام، كما يبدو أنهن يلبسن ملابس ثقيلة بقصد الدفاء. لاحظت ذلك عندما خرجت قبل بضع أسابيع لتناول العشاء مع بعض الأصدقاء، فالفتاة التي كانت تجلس بجانبني كانت في العشرين من عمرها تقريباً، وكان المطعم

حاراً ولكنها كانت ترتدي كتزة صوف صفراء وتنورة سوداء وجوربين من الصوف الأسود والعرق يتصبب من وجهها طوال فترة جلوسها. كانت رائحتها ننتة كرائحة الصوف الذي يتشرب العرق، كما أوحى رائحة شعرها بأنها لم تغسله منذ فترة طويلة. وحسبما قاله أصدقائي فإنها كانت جذابة جداً، ولكنها لم تكن كذلك في نظري! وددت لو ألقيتها في حمام ماء ساخن وأعطيتها قطعة من الصابون لتستحم جيداً! وأحسب أن ذلك يُظهر -تماماً- إلى أي مدى كنت بعيداً عن تطورات الزمن.

صحوت من تلك التأمّلات على صوت قوي مفاجئ، فقد بدأت شابتان على الطاولة المجاورة بالشجار. وحاول الشابان اللذان كانا بصحبتهما تسوية الأمور ولكن دون جدوى، وفجأة بدأنا بتبادل الصراخ وصفعت واحدة منهما صاحبتهما فقامت الثانية بإيقاع الأولى عن كرسيها. تشابكتنا بالأيدي كما يتصارع الرعاع وصرختا وهما تتسابقان بطريقة هستيرية، وكانت إحدهما ذات شعر أحمر أشعث والأخرى ذات شعر أشقر أملس. لم أعرف سبب الشجار الذي بدأ بينهما، وتزاحمت في أذني عبارات الشتائم وصرخات وصيحات الاستهجان من الطاولات الأخرى.

جاء صاحب المقهى (وكان نحياً إيطالي القسمات، أظنه هو لويجي الذي أطلق اسمه على المقهى) ليتدخل بينهما بصوت ذي لهجة لندنية خالصة: كفاً عن ذلك... توقفا، توقفا... ستجمعان علينا الناس. سأستدعي الشرطة. قلت لكما توقفا.

لكن الفتاة الشقراء كانت ممسكة بصاحبتهما من شعرها تشده

بقوة وهي تصرخ: ما أنت سوى قذرة خطافة للرجال!

ردت الثانية: بل أنت القذرة.

ثم قام لويجي والشابان المُحرَّجان برفقة الفتاتين بالفصل بينهما. كانت الفتاة الشقراء قد نزعت خصلات كبيرة من شعر الفتاة الحمراء وكان الشعر بين أصابعها، ورفعت يدها عالياً بنشوة المنتصرة وألقت بالشعر على الأرض.

وفجأة فُتح الباب المؤدي إلى الشارع بقوة ووقفت «السُلطة» بملابسها الزرقاء عند العتبة! سأل الشرطي بكل فخامة السلطة: ما الذي يجري هنا؟

تشكلت على الفور جبهة مشتركة في وجه العدو، وقال أحد الشابين: مجرد لهو ولعب.

قال لويجي: هذا كل ما في الأمر... مجرد لهو بين الأصدقاء.

ثم دفع خصلات الشعر بقدمه تحت أقرب طاولة، وتبادلت المتحاربتان الابتسامات المزيفة، ونظر الشرطي إلى كل واحد من الموجودين نظرات ارتياب.

قالت الشقراء بلطف: إننا ذاهبون الآن، هيا يا دوغ.

وبالمصادفة كان العديد من الزبائن الآخرين يهيمون بالخروج. راقبهم الشرطي عابساً وهم يخرجون، وكانت عينه تقول إنه قد تغاضى عن الأمر هذه المرة فقط. ثم انسحب ببطء.

دفع مرافق الفتاة ذات الشعر الأحمر الفاتورة، وقال لويجي

للفتاة التي كانت ترتب وشاحها: هل أنت بخير؟ لقد أساءت «لو»
التصرف معك بخلع شعرك من جذوره بهذا الشكل.

قالت الفتاة بلا اهتمام: "إنها لم تؤذني". ثم ابتسمت له وقالت:
أنا آسفة على هذا الشجار يا لويجي.

خرج الجميع وفرغ المقهى. وتحسست جيبي لأدفع الثمن،
وقال لويجي وهو يرقب الباب: "إنها ذات روح رياضية دون شك".
ثم أمسك بالفرشاة وكنس خصلات الشعر.
قلت: لا بد أن ذلك كان مؤلماً جداً.

اعترف لويجي قائلاً: كنت سأصبح ألماً لو كنت مكانها، لكن
تومي هذه ذات روح رياضية حقيقية.

- هل تعرفها جيداً؟

- آه، إنها تأتي إلى هنا في معظم الليالي. اسمها توماسينا
تكرتن. هذا اسمها الكامل، ولكنها معروفة هنا بلقب تومي تاكر،
وهي غنية جداً أيضاً، فقد ترك لها والدها ثروة، ولكن ماذا تحسبها
تفعل بها؟ إنها تأتي إلى تشيلسي وتعيش في غرفة منتنة قرب جسر
واندسورث وتتسكع في المنطقة مع عصابة تعيش كلها على نفس
النموال... وما يدهشني أن لأكثر من نصفهم أموالاً. يمكنهم أن
يحصلوا على أي شيء يريدونه وأن يقيموا في أضخم الفنادق لو
أرادوا، ولكن يبدو أنهم يحصلون على شيء من الإثارة من حياتهم
بهذا الشكل. نعم، إن هذا يحيرني.

- لو كنت مكانهم: هل كنت ستختار هذه الحياة؟

- أنا رجل عاقل... ولكنني أحصل على أرباح منهم!

نهضت لأنصرف، وسألته عن سبب الشجار.

- آه، لقد سرقت تومي من الفتاة الأخرى صديقها. ولكن

صدقني: إنه لا يستحق هذا الشجار عليه!

- يبدو أن الفتاة الأخرى ترى أنه يستحق.

قال لويجي بأريحية: إن «لو» فتاة رومَنسِيَّةٌ جداً.

لم تكن تلك هي نظرتي للرومنسية، لكنني لم أعلّق بشيء.

* * *

بعد ذلك بأسبوع وقعت عيني على أحد الأسماء في عمود

الوفيات في جريدة «التايمز». كان الخبر يقول:

توفيت الأنسة تاكرتن في الثاني من تشرين الأول

(أكتوبر) في أمبرلي عن عمر يناهز عشرين عاماً.

اسمها توماسينا تاكرتن، وهي الابنة الوحيدة للراحل

توماس تاكرتن الحامل للقب فارس، من كارينغتن

بارك، أمبرلي. الجنازة خاصة. لا ورود.

* * *

لا ورود للمسكينة تومي تاكر ولا مزيد من الإثارة في الحياة

في تشيلسي!

شعرت بتعاطف سريع مفاجئ مع أمثال تومي تاكر في هذا

الزمن. ومع ذلك ذكّرتُ نفسي: كيف أعرف أن وجهة نظري هي الصحيحة؟ من أكون حتى أسميها حياة ضائعة؟ ربما كانت حياتي أنا، حياتي الهادئة العلمية المغمورة في بطون الكتب والمنعزلة عن العالم والناس هي الحياة الضائعة... حياة من الدرجة الثانية. لأكن صادقاً الآن: هل أجد إثارة في هذه الحياة؟ فكرة غريبة جداً. إن الحقيقة بالطبع هي أنني لم أطلب الإثارة، ولكن ربما كان علي أن أطلبها! إنها فكرة غريبة ولا تلقى كثيراً من الترحيب من جانبي.

صرفت عن تفكيري تومي تاكر وعدت إلى مراسلاتي. كانت أهم رسالة هي تلك التي تلقيتها من ابنة عمي رودا ديسبارد تطلب مني فيها تقديم خدمة لها. تعلقت بهذه الخدمة حيث لم أكن أشعر بمزاج للعمل هذا الصباح، وكانت هذه عذراً رائعاً لتأجيل العمل.

خرجت إلى شارع كينغ وأوقفت سيارة أجرة انطلقت بي إلى محل إقامة صديقة لي هي السيدة أريادني أوليفر.

* * *

كانت السيدة أوليفر كاتبة روايات بوليسية معروفة مشهورة، وكانت خادمتها ميلي «تتينا» يحرس سيدته من عاديات العالم الخارجي.

رفعت حاجبيّ متسائلاً دون أن أتلفظ بالسؤال، فأومأت ميلي برأسها بقوة وقالت: اصعد إليها مباشرة يا سيد مارك. إن مزاجها متعكر هذا الصباح، وقد تستطيع مساعدتها في الخروج من حالتها هذه.

صعدتُ الدرج وطرقت أحد الأبواب طرقات خفيفة، ثم

دخلت دون أن أنتظر السماح لي بالدخول. كانت غرفة عمل السيدة أوليفر كبيرة الحجم وجدرانها مغطاة بورق عليه رسومات طيور مختلفة تبني أعشاشها في غابات استوائية، أما السيدة أوليفر ذاتها فكانت في حالة تبدو أقرب للجنون وتذرع الغرفة جيئةً وذهاباً وتتحدث مع نفسها.

نظرت إليّ نظرةً لامبالاةٍ قصيرةً ثم أكملت دورانها. كانت عيناها تنظران إلى الجدران دون تركيز، ثم تلقيان نظرة خارج النافذة، ومن وقت لآخر تغلقهما وكأنها تعاني من ألمٍ عظيم.

تساءلت السيدة أوليفر بإلحاح: لماذا؟ لماذا لم يقل الأبله فوراً إنه رأى البيغاء؟ لماذا لم يقل ذلك؟ لم يكن بوسعه أن لا يراه! ولكن إن ذكر فعلاً أنه رآه فإن هذا سيدمر كل شيء. لا بد من وجود طريقة... لا بد...

زمرّت وعبثت بأصابعها بشعرها الرمادي القصير... أمسكته بيد غاضبة ثم قالت وقد نظرت إليّ فجأة: مرحباً يا مارك... إنني سأصاب بالجنون.

ثم تابعت شكواها: ومونيكا أيضاً... كلما حاولت جعلها أكثر لطفاً صارت أكثر إثارة للغضب. فتاة غبية... كما أنها راضية بنفسها! مونيكا... مونيكا! أظن أن الاسم غير مناسب. نانسي؟ هل هو أفضل؟ جوان؟ الكل اسمهنّ جوان. سوزان؟ لقد استخدمت هذا الاسم. لوسيا؟ لوسيا؟ أحسب أنني أستطيع تخيل فتاة باسم لوسيا: ذات شعر أحمر... تلبس كنزة ذات ياقة مرتفعة وبنطالاً أسوداً ضيقاً... أو جوارب سوداء.

لكن هذه الفرحة القصيرة نَعَصها تذكّر مشكلة الببغاء، فتابعت السيدة أوليفر مشيتها في الغرفة بحزن وهي ترفع بعض الأغراض عن الطاولات دون تركيز ثم تضعها ثانية في مكان آخر. ثم تنهدت وقالت: أنا سعيدة لقدومك.

- هذا لطف منك.

- كان يمكن أن يكون غيرك... امرأة سخيفة تريد مني إقامة سوق خيري، أو رجلاً يريد أن يتحدث عن بطاقة التأمين الخاصة بميلي والتي ترفض ميلي أخذها قطعياً... أو السبّاك. وقد يكون شخصاً يريد إجراء مقابلة معي لي طرح تلك الأسئلة المحرجة التي تتكرر في كل حين: ما الذي جعلك تفكرين باحتراف الكتابة؟ كم قصة كتبت؟ كم جمعت من الأموال؟ إلخ، إلخ. وأنا لا أعرف الإجابة عن أي سؤال منها مما يجعلني أبدو كالحمقاء. ليس هذا ما يهمني لأنني أظن أنني سأصاب بالجنون بسبب أمر الببغاء هذا.

قلت متعاطفاً معها: أهي فكرة تستعصي على التجسيد؟ ربما كان من الأفضل أن أرحل.

- لا، لا تفعل، فأنت تلهيني عن هذا الموضوع على أية حال.

قبلت هذا الإطراء المشكوك فيه. ثم سألتني السيدة أوليفر بكرم غامض: هل تريد لفافة تبغ؟ هناك بعض اللفافات. انظر في غطاء آلة الطباعة.

- شكراً لك، لدي علبة لفافات. خذي واحدة. آه... لا، فأنت

لا تدخينين.

قالت السيدة أوليفر: ليتني كنت أدخن... مثل رجال التحري الأمريكيين هؤلاء الذين يضعون علب لفافات التبغ في جيوبهم والتي يبدو أنها تحل كل مشكلاتهم. أتعرف يا مارك، إنني حقاً لا أدري كيف يمكن لأحد أن ينجو بجريمة قتل ارتكبها في الحياة الواقعية. يبدو لي أنك في اللحظة التي ترتكب فيها جريمة قتل يكون كل شيء واضحاً إلى أبعد حد.

- هراء؛ لقد عملت الكثير منها.

- كتبتُ خمساً وخمسين قصة بوليسية على الأقل. نعم، إن الجريمة سهلة جداً وبسيطة، ولكن حجبتها هو الأمر الصعب. أعني: لماذا يكون الفاعل أي شخص آخر عداك؟ إنك تبقى بعيداً أميلاً عن مسرح الجريمة.

- لكن هذا لا يكون في النسخة الأخيرة الكاملة.

قالت السيدة أوليفر بغموض: آه، لكن هذا ما يكلفني كثيراً. قل ما تشاء، ولكن ليس من الطبيعي أن يوجد خمسة أشخاص أو ستة في مكان الجريمة عندما يُقتل شخصٌ ويكون لدى الجميع دافع لقتله... إلا لو كان شخصاً كريهاً جداً، وفي هذه الحالة فلن يهتم أحد إن قُتل أو لم يُقتل، ولن يهتم أيضاً بمن قتله.

- فهمتُ مشكلتك. ولكن إن كنتِ قد تعاملتِ معها خمساً وخمسين مرة بنجاح فإنك ستنجحين في التعامل معها مرة أخرى.

- هذا ما أقوله لنفسني المرة تلو الأخرى، ولكني في كل مرة لا أستطيع تصديقه، لذلك أشعر بعذاب كبير.

أمسكتُ السيدة أوليفر شعرها وشدته بعنف، فصرختُ:
لا تفعلني ذلك، ستخرجينه من جذوره.

- هراء! إن الشعر قوي. ولكنني -عندما أصبت بالحصبة وأنا
في سن الرابعة عشرة وكانت حرارة جسمي مرتفعة- تساقط شعري...
كل الشعر القريب من جبھتي. كان مخزياً جداً، وقد احتاج ستة أشهر
كاملة حتى نما ثانية. إنه شنيع بالنسبة لفتاة، فالفتيات يتأثرن كثيراً من
هذا. لقد فكرت في هذا الأمر بالأمس عندما كنت في زيارةٍ لماري
ديلافونتين في دار الرعاية تلك. كان شعرها يتساقط كما تساقط
شعري، وقالت إنها ستضع باروكة عندما تتحسن حالتها. ولكن إذا
كنت في الستين من عمرك فإن الشعر لا ينمو مرة أخرى في الغالب.

قلت: لقد رأيت فتاة تشد فتاة أخرى من شعرها من جذوره
قبل أيام (وقد شعرت وأنا أقول ذلك بنبرة فخر خفيفة في صوتي
باعتباري امرأةً خَبِرَ الحياة).

سألتنِي السيدة أوليفر: ما هذه الأماكن الغريبة التي تزورها؟

- وقعت الحادثة في أحد المقاهي في تشيلسي.

- آه، تشيلسي! أظن أن كل شيء يحدث هناك؛ الفوضويون
والشيوعيون وجيل الرفض. إنني لا أكتب عنهم كثيراً لأنني أخشى
من الخطأ في المفردات والأسماء. أظن أن من الأسلم للكاتب أن
يبقى في إطار ما يعرفه. ومع ذلك يمكنك أن تأخذني إلى مقهى في
تشيلسي في أحد الأيام... لمجرد إغناء تجربتي.

- في أي وقت تشائين. هذه الليلة؟

- ليس الليلة. إنني مشغولة كثيراً في الكتابة، أو بالأحرى في القلق لعدم استطاعتي الكتابة. إن ذلك هو -حَقاً- أكثر ما يضر في مسألة الكتابة... رغم أن كل شيء مضجراً في الواقع، باستثناء تلك اللحظة التي ترى فيها أن ما تفكر فيه سيكون فكرة رائعة ولا تحتمل الانتظار. قل لي يا مارك: هل تعتقد أن من الممكن قتل شخص بواسطة التحكم عن بعد؟

- ماذا تقصد بالتحكم عن بعد؟ أن تضغطي على زر فتنتقل منه إشعاعات قاتلة؟

- لا، لا، ليس الخيال العلمي.

سكتت مترددة ثم قالت: في الحقيقة أنا أعني السحر!

- هل تقصد بالتحكم عن بعد الأجسام الشمعية وبداخلها الدبابيس؟

قالت السيدة أوليفر بازدراء: الأجسام الشمعية لا تستحق الذكر، لكن أموراً غريبة تحدث بالفعل في أفريقيا أو في جزر الهند الغربية، فالناس يقولون ذلك دائماً... كيف يتلوى السكان على الأرض ثم يموتون. يسمونها هناك «الجوجو». على أية حال، أنت تعرف ما أعنيه.

قلت: إن كثيراً من ذلك يُعزى في هذه الأيام إلى قوة الإيحاء. تقال كلمةٌ لضحية بأن موته قد قرره الطبيب ثم يتولى عقله الباطن تنفيذ الباقي.

قالت السيدة أوليفر متأففة: لو أشار إليّ شخص بأنني محكوم عليّ بأن أستلقي وأموت لتلذذت بإحباط آماله!

ضحكتُ وقلت: لأن في عروقكِ دماء غريبة اعتادت الشك منذ عدة قرون؛ لا أوهام مسبقة لديك.

- إذن فأنت ترى إمكانية حدوث ذلك؟

- لا أعرف عن هذا الموضوع ما فيه الكفاية حتى أحكم عليه. ما الذي ذكركِ به؟ هل ستكون رائعتك الجديدة بعنوان «جريمة قتل بالإيحاء»؟

- لا، يكفيني تماماً سم الفئران القديم أو الزرنيخ أو الأداة الحديدية الثقيلة التي لا تخيب ضربتها، وأفضل الابتعاد عن الأسلحة النارية إن كان ذلك ممكناً، فالأسلحة النارية مخادعة. لكنك لم تأت إلى هذا البيت لتحدث معي عن قصصي.

- بصراحة: لا. الحقيقة أن ابنة عمي رودا ديسبارد تشارك بمهرجان في الجمعية و...

- لن أكررها ثانية! أتعرف ماذا حدث في المرة الأخيرة؟ لقد خططت لمسابقة لكشف القاتل، وأول ما حصل هو العثور على جثة حقيقية! إنني لم أتخلص بعد من آثار ذلك الحادث!

- إنها ليست مسابقة للبحث عن قاتل. كل ما عليك أن تفعله هو أن تجلسي في خيمة وتوقعي على قصصك مقابل خمسة شلنات كل مرة.

قالت السيدة أوليفر متشككة: حسناً، لا بأس في ذلك. هل سيكون عليّ افتتاح المهرجان أو قول أشياء سخيفة؟ وهل عليّ ارتداء قبعة؟

أكدتُ لها أن شيئاً من ذلك لن يكون مطلوباً منها، ثم قلت مشجّعاً: وسيستغرق الأمر ساعة أو اثنتين فقط، وبعده ربما ستكون مباراة كريكت... لا، أظن أن ذلك لن يحدث في هذا الوقت من السنة. ربما ستكون فقرة للعب الأطفال، أو مسابقة الثياب التنكرية.

قاطعتني السيدة أوليفر بصرخة مدوية: هذه هي، كرة الكريكت! بالطبع! يراها من النافذة ترتفع في الهواء فتلفتُ انتباهه... لذلك لا يذكر الببغاء أبداً! إن قدومك لزيارت جميل يا مارك... أنت رائع!

- لم أفهم تماماً...

- قد لا تفهم، لكنني أفهم. إنها مسألة معقدة ولا أريد إضاعة الوقت في الشرح. إن رؤيتك أمر رائع، وما أريده منك الآن هو أن تذهب... فوراً.

- بالتأكيد، وماذا عن المهرجان؟

- سأفكر في الأمر، لا تزعجني الآن. أين وضعتُ نظارتي؟
يا إلهي! كيف تختفي الأشياء؟

* * *

الفصل الثاني

فتحت السيدة جيراهتي باب بيت الأب غورمان بأسلوبها الهجومى الحاد المعتاد. بدا أسلوبها وكأنها تقول: "لقد أمسكت بك هذه المرة!" أكثر مما هو أسلوب استجابة لجرس الباب.

سألت بشكل عدواني: حسناً، ماذا تريد؟

كان الزائر صبيّاً وقف على عتبات الباب من الخارج، صبيّاً بدا مهملاً تماماً، وليس من السهل ملاحظته ولا تذكر شكله، ولد كغيره من الأولاد الكثيرين. وكان مصاباً بالزكام فكان ينشق بأنفه كثيراً.

- أهذا بيت الكاهن؟

- هل تريد الأب غورمان؟

- إنه مطلوب.

- من الذي يريده؟ وأين؟ ولماذا؟

- شارع بينتهول، منزل رقم ٢٣. هناك امرأة يقولون إنها تُحتَضَر، وقد أرسلتني السيدة كوينز إلى هنا. هل هذا هو بيت الأب

غورمان؟ تقول المرأة إنهم بحاجة إليه.

طمأنته السيدة جيراتي وأخبرته أن يبقى مكانه ثم عادت إلى داخل البيت. بعد ثلاث دقائق جاء كاهن كهل طويل القامة حاملاً بيده حقيبة جلدية صغيرة وقال: أنا الأب غورمان. شارع بيتتهول؟ أهو الشارع الذي فيه محطة القطار؟

- صحيح، وهو لا يبعد أكثر من بضع خطوات.

انطلقاً معاً، وكان الأب غورمان يسير بخطوات واسعة.

- هل قلت إنها السيدة... كوينز؟ هل هذا هو اسمها؟

- هذه صاحبة البيت، السيدة التي تؤجر الغرف. إن التي تريدك واحدة من المستأجرات، أظن أن اسمها ديفيز.

- ديفيز... أنا لا أتذكر؟

- إنها تُحتَضِر الآن، وقالت إنها بحاجة إليك.

أوما الكاهن برأسه. وصلاً إلى شارع بيتتهول خلال وقت قصير جداً، وأشار الولد إلى بيت قذر مرتفع ضمن صفٍ من البيوت القذرة المرتفعة الأخرى، وقال: هذا هو.

- ألن تدخل معي؟

- لست من أهل البيت. أعطتني السيدة كوينز شلناً حتى أوصل الرسالة.

- فهمت، وما اسمك؟

- مايك بوتر .

- شكراً يا مايك .

قال مايك "عفواً"، ثم انطلق وهو يصفر، وكان رهبة موت الآخرين لم تؤثر عليه أبداً.

فُتح باب المنزل رقم ٢٣ وأطلت منه السيدة كوبينز بوجهها الأحمر الضخم ورحبت بالزائر ترحيباً حاراً.

- تفضل، تفضل. أظن أن حالتها سيئة، وكان ينبغي أن تكون في المستشفى وليس هنا. لقد اتصلت بهم ولكن الله وحده يعلم متى سيأتي أي منهم، فد انتظر زوج أختي ست ساعات عندما كُسرت ساقه! إنني أعتبره أمراً مخزياً. أي خدمة صحية هذه؟ يأخذون أموالك وعندما تكون بحاجة إليهم لا يأتون.

كانت تسبق الكاهن وهما يصعدان الدرجات الضيقة.

- وما الذي جرى لها؟

- كانت مصابة بالزكام، وبدا وكأن حالتها قد تحسنت، وقد تعجلت الخروج من البيت. على أي حال عادت إلى البيت الليلة الماضية وهي تبدو كالميتة، فأخذتها إلى سريرها. لم تأكل أي شيء، كما رفضت حضور الطبيب. وصباح اليوم رأيتها وقد ازدادت الحمى عندها كثيراً وامتدت إلى رثتها.

- ذات الرئة؟

أصدرت السيدة كوبينز (التي توقفت لالتقاط أنفاسها) صوتاً

كأنه صوت محرك بخاري، بدا وكأنه علامة الموافقة.

فتحت الباب بقوة وتحت جانباً لتسمح للأب غورمان بالدخول
وقالت من ورائه: ها هو الكاهن جاء إليك. ستكونين بخير الآن!
قالتها بأسلوب مبتهج ثم تراجعت.

تقدم الأب غورمان. كانت الغرفة مؤثثة بأثاث فكتوري قديم،
وكانت نظيفة ومرتبّة. وعلى السرير قرب النافذة التفتت امرأة برأسها
بحركة واهنة، وعرف الكاهن -على الفور- أنها مريضة جداً.

قالت بعبارات متقطعة بسبب ضيق أنفاسها: لقد جئت... ليس
لديّ الكثير... من الوقت. إنه الشر... الشر. يجب أن... لا يمكن أن
أموت هكذا. يجب أن أعترف... أعترف. إن خطيئتي كبيرة... كبيرة...
ثم جالت بعينها وهما نصف مغمضتين، ثم خرجت من بين
شفتيها كلمات مشتتة ذات نغمة موحدة.

اقترب الأب غورمان من السرير وتكلم (كما اعتاد أن يتكلم
في مناسبات مماثلة كثيرة من قبل) بكلمات تطمين.

خيّم الهدوء على الغرفة، وخرج الألم من العينين المعذبتين.
وعندما أنهى الكاهن واجبه تكلمت المرأة المحتضرة مرة
أخرى: إيقاف ذلك... ينبغي إيقافه... أنت ستوقفه.

قال الكاهن عبارات للتطمين: سأفعل ما هو ضروري، يمكنك
أن تثقي بي.

وصل طبيبٌ مع سيارة إسعاف بعد ذلك بوقت قصير. استقبلتهم

السيدة كوينز قائلة: متأخرون كالعادة... لقد ماتت!

* * *

عاد الأب غورمان مشياً على الأقدام وقد بدأ الليل يرخي سدوله. سيكون ضبابٌ هذه الليلة، فالبخار يتكثف بسرعة في الجو. توقف لحظةً مقطباً جبينه.

يا لها من قصة غريبة خيالية! كم من هذه القصة يمكن أن يُعزى إلى الهذيان والحمى؟ لقد كان بعضها صحيحاً بالطبع... ولكن كم كان مقدار ذلك البعض؟ على أي حال كان من المهم كتابة أسماء معينة وهي لَمَّا تَزَلْ حية في ذاكرته. دخل فجأةً إلى أحد المقاهي وطلب فنجان قهوة وجلس إلى الطاولة.

تحسس جيب رداؤه. آه، السيدة جيراتي... لقد طلب منها أن تَخطِط البطانة، وكالعادة لم تفعل! لقد دخل دفتره وقلمه وبعض القطع النقدية (التي كان يحملها في جيبه) إلى داخل البطانة. ضغط حتى أخرج قطعة نقدية أو اثنتين وأخرج القلم، لكن إخراج الدفتر كان صعباً جداً. جاءت القهوة وطلب قطعة من الورق.

- هل تنفَعُ هذه؟

كانت قطعة من كيس ورق ممزق. أوماً الأب غورمان وأخذها، وبدأ يكتب الأسماء. كان مهماً أن لا ينسى الأسماء، فمن عادته أن ينسى الأسماء.

فُتِح باب المقهى ودخل منه ثلاثة غلمان صغار وجلسوا محدثين جلبة.

أنهى الأب غورمان مذكرته، ثم طوى الورقة، وكان على وشك أن يضعها في جيبه عندما تذكر الفتق فيه، فصنع ما كان يصنعه في الغالب: دَسَّ الورقة المطوية داخل حذائه.

دخل رجل بهدوء وجلس في زاوية بعيدة، وارشف الأب غورمان رشفة أو رشفتين من القهوة الخفيفة من باب اللباقة فقط، وطلب الفاتورة وسددها ثم نهض وخرج.

بدا أن الرجل الذي دخل لتوّه قد غير رأيه؛ نظر إلى ساعته وكأنه أخطأ الوقت ثم نهض وأسرع خارجاً.

كان الضباب يتكاثر بسرعة، وأسرع الأب غورمان في خطواته. كان يعرف منطقته جيداً. سلك طريقاً مختصراً بالتفافه من الشارع الصغير القريب من خط السكة الحديدية، وربما شعر بالخطوات التي تمشي وراءه، ولكنه لم يأبه لها. ولماذا يفعل؟

جاءت ضربة الآلة الثقيلة لتأخذه على حين غرة تماماً. مال إلى الأمام وسقط على الأرض.

* * *

دخل الدكتور كوريغن غرفة مفتش الشرطة لوجون وهو يصفر ويهذر. قال: لقد فحصت الكاهن.

رد عليه المفتش: وما هي النتيجة؟

- سنوفر المصطلحات الفنية لحين جلسة التحقيق. ضربة قوية ومتقنة بآلة ثقيلة. ربما قُتل من أول ضربة، ولكن الفاعل -كائناً من

كان - كررها للتأكد. إنها جريمة قذرة جداً.

قال لوجون: نعم.

كان لوجون رجلاً قوي الجسم ذا شعر أسود وعينين رماديتين، وكان سلوكه يعطي انطباعاً مضللاً بالهدوء، ولكن لمحاته والتفاتاته كانت تبدو - أحياناً - معبّرة جداً وتكشف جذوره الفرنسية.

قال المفتش متأملاً: أهو عدوان أقدر مما تتطلبه السرقة مثلاً؟

سأل الطبيب: هل كان حادث سرقة؟

- يفترض المرء ذلك، فقد قلبت جيوبه ومزقت بطانة رداءه.

قال كوريغن: ما كان للمجرم أن يتوقع الحصول على الكثير. إنه رجل فقير مسكين.

- لقد ضربوا رأسه أكثر من مرة ليتأكدوا من وفاته. ولكن لماذا؟

قال كوريغن: توجد إجابتان محتملتان؛ الأولى أن الذي فعلها شاب سفاح شرير يحب العنف من أجل العنف... يوجد منهم الكثير هذه الأيام في هذه المنطقة، وهو أمر مؤسف.

- والإجابة الثانية؟

رفع الطبيب كتفيه حيرة وقال: شخص كان يحقد على الأب غورمان. هل هذا محتمل؟

هز لوجون رأسه نافياً وقال: مستبعد جداً، فقد كان رجلاً محبوباً من أهل المنطقة. وليس له أعداء حسبما نعلم، كما أن السرقة

غير محتملة. إلا إذا...

- إلا إذا ماذا؟ إن الشرطة يملكون دليلاً ما، أليس كذلك؟

- كان معه بالفعل شيء لم يسرقوه منه، كان في حذائه في الواقع.

صفر كوريغن مدهوشاً وقال: تبدو مثل قصص التجسس.

ابتسم لوجون وقال: الأمر أكثر بساطة من هذا. كان في جيبه فتق. لقد تحدث الرقيب باين مع مدبرة منزله، ويبدو أنها امرأة لامبالية ولم تكن تصلح له ملابسه كما ينبغي، وقد اعترفت بأن الأب غورمان كان كثيراً ما يضع ورقة أو رسالة داخل حذائه حتى لا تدخل في بطانة ردائه.

- ألم يعرف القاتل بذلك؟

- لم يفكر بهذا الاحتمال أبداً! هذا على افتراض أن هذه الورقة هي ما كان يريده وليس النقود القليلة التي كان يحملها.

- وماذا كان في الورقة؟

مد لوجون يده إلى أحد الأدراج وأخرج منه قطعة صغيرة من الورق المتسخ، وقال: إنها قائمة أسماء فقط.

نظر كوريغن إليها بفضول وقرأ:

أورميرود
سانفورد
باركشُن
هيسكيث-دوبوا
شو
هارمُندسورث
تاكرتُن
كوريعن؟
ديلافونتين؟

رفع حاجبيه دهشة وقال: أرى أنني في القائمة!

سأله المفتش: هل يعني لك أي من هذه الأسماء شيئاً؟

- لا أعرف أي واحد منها.

- ألم تقابل الأب غورمان من قبل؟

- أبداً.

- إذن لن تقدر على مساعدتنا كثيراً.

- هل تعرفون أي شيء عما يمكن أن تعنيه قائمة الأسماء هذه؟

لم يردّ لوجون عليه مباشرة، بل قال: ذهب ولد إلى بيت الأب غورمان الساعة السابعة مساءً تقريباً. قال إن امرأة تحتضر وأنها تريد الكاهن، وذهب الأب غورمان معه.

- إلى أين؟ إن كنت تعرف.

- نحن نعرف بالطبع ، فلم يستغرق اكتشاف التفاصيل منا وقتاً طويلاً. ذهب إلى المنزل رقم ٢٣ في شارع بيت هول. البيت تملكه امرأة تدعى السيدة كوينز ، أما المرأة المريضة فكانت تدعى ديفيز. وصل الكاهن إلى المنزل في الساعة السابعة والرابع وجلس معها لمدة نصف ساعة تقريباً ، وقد ماتت السيدة ديفيز قبل أن تصل سيارة الإسعاف لنقلها إلى المستشفى.

نشكرك على الاهتمام بمنشوراتنا ، ونأمل أن تكون الصفحات التي قرأتها قد وفّرت لك قراءة ممتعة وعرفّتك بالرواية.

يمكنك شراء نسخة ورقية من هذه الرواية (وسواها من الروايات) من موقعنا مباشرة ، ونرجو عدم التردد بالاتصال بنا لو احتجت لأي مساعدة.

الأجيال

www.al-ajyal.com